الملاحظات

استذكر حضرة بهاءالله أحداث نيريز بإنزال "سورة الصبر" والمعروفة أيضا باسم "لوح أيوب" والتي تعادل ربع "كتاب الإيقان" حجما. نزلت بالعربية بحق الحاج محمد تقي من نيريز الذي لقبه حضرة بهاءالله بـ"أيوب".

كان الحاج رجلا مثقفا ثريا مهاب الجانب من مواطنيه الذين كان محط ثقتهم لدرجة كانوا يأتمنونه على ودائعهم وغالبا ما يستعملون إيصالاته كحوالات مالية معتمدة. وعندما وصل وحيد إلى نيريز عام ١٨٥٠م محدثا صحوة روحية جيّاشة بعيدة المدى في نفوذها، تأثر بها عدد من النفوس المتفانية فاعتنقوا دين حضرة الباب والتفوا حول وحيد يناصرونه. وكان على رأس هؤلاء الحاج محمد تقي الذي عمل على نشر الدين بكل السبل في تلك المنطقة.

تنبه زين العابدين خان -حاكم نيريز- إلى الإقبال الطوعي الشديد نحو وحيد من قبل أهالي البلدة، فصدمه بل وأغضبه قبول عدد كبير الدعوة الجديدة خلال أيام قليلة. فقرر اتخاذ إجراء فوري وأمر الجيش أن يقتلع هذه الجماعة الجديدة بالكلية ويقتل زعيمها. وعلى أثر الهيجان الشديد الذي اجتاح الناس هناك اضطر البابيون إلى اللجوء إلى قلعة قديمة خارج البلدة. ورغم تفوق الجيش عددا وعدة، وقلة تدريب

المدافعين عن قلعة "خاجة"، فقد دافعوا ببسالة أجبرت أعداءهم على التراجع مذعورين في هزيمة مخزية.

ولما أيقن زين العابدين خان أن قوة السلاح مع هذه الفئة غير مجدية لجأ إلى الحيلة والخيانة، فارتفعت منه، بكل مكر ودهاء، صيحة السلام وأرسل رسالة يدعو فيها وحيدا وقادة آخرين لزيارته في معسكر الجيش وتعهد أن يتحرى حقيقة رسالة حضرة الباب وينهي النزاع وسفك الدماء. وحتى يخدع هؤلاء الأبرياء ذوي القلوب الطاهرة قام مع نفر من ضباطه بوضع أختامهم على نسخة من القرآن الكريم وأرسلوه مع الرسالة الموجهة إلى وحيد شهادة عن صدقهم وأمانتهم.

لم يغب عن وحيد مكرهم هذا، إلا أنه، إذعانا لقدسية القرآن الكريم، غادر القلعة إلى المعسكر حيث تم استقباله في البداية استقبالا رسميا. وهناك لام المسئولين على استبدادهم وإغلاق أعينهم دون الحقيقة. ودعاهم إلى التحري عن دين الله الجديد واعتناقه. نفذت كلماته إلى أعماق النفوس حتى أن الحاكم ورجاله أصيبوا بالحيرة والارتباك من قوة حجته. ولإيقانه بسعة علم وحيد وعميق إيمانه الصادق، خشي الحاكم أن يتحول ولاء بعض رجاله إلى وحيد. فبالغش والخداع أفلح في إخلاء القلعة خلال ثلاثة أيام، ووقع الأبطال المدافعون في كمين نصبه لهم

أفراد الجيش وأجهزوا على معظمهم. أما وحيد فقد قتل بشكل مهين وسحبت جثته في طرقات نيريز وأسواقها وسط قرع الطبول والصنوج، والرجال والنساء من حوله يرقصون.

ألقى استشهاد وحيد على الأمر الإلهي ظلا من المجد لا يفنى وتزينت صفحات التاريخ بقصة حياته، وسيبقى المثل الذي ضربه حيا يقود الأجيال القادمة ويلهمها عبر العصور. كان فريدا في ميدان العلم والمعرفة ثابتا في إيمانه الذي لا يقهر، منازلا لا تلين له قناة في المناظرات العامة، بطلا مغوارا في الدفاع عن دين الله لا يبزّه أحد بعشقه لحضرة الباب.

وفي "سورة الصبر" يذكر حضرة بهاءالله إنجازات وحيد في إعلان الأمر الإلهي والظروف التي أدت إلى هيجان الجمهور في نيريز، ويسترسل في سرد الأحداث التي أدت إلى حبس الأحباء ممجدا بطولتهم وتضحياتهم ثم استشهادهم في النهاية. ويصور عظم الشدائد والرزايا التي أحاطت بالناجين منهم، خاصة النساء والأطفال، الذين أجبروا على السير بجانب رؤوس شهدائهم التي رفعت على أسنة الرماح طيلة الطريق إلى شيراز في موكب جاب الشوارع والأسواق، ويدين بشدة أولئك الذين ارتكبوا هذه الفظائع، وحذرهم ألا يفرحوا بل يخشوا بأس ربهم بعدله في الآخرة لينزل بهم العقاب على ما ارتكبوه من القسوة والبطش ضد أحبائه.

وبعد ثلاث سنوات على ذلك الهياج تعرض الأحباء في نيريز فجأة إلى مذبحة كانت أشد فتكا من الأولى. وفي رواياته، سجل النبيل بعض الأحداث التي صاحبت هذه المذبحة:

"ولن أحاول أن أدون التفاصيل المتعددة التي أدت إلى المذبحة التي تمّت بها هذه المأساة بل أحيل القارئ إلى الرسالة المفصلة التي نمقها يراع ميرزا شافع النيريزي التي يشير فيها بالتفصيل والدقة والقوة إلى كل دقائق هذه الحادثة المؤثرة. ويكفي أن نقول أن الذين استشهدوا فيها لا يقلون عن ماية وثمانية من أشجع تلاميذ الباب ومثلهم من الجرحى ولم يصل منهم إلى العاصمة حيا سوى ثمانية وعشرين نفرا وهم الذين أمكنهم أن يتحملوا مشاق السفر ومن بين هؤلاء الثمانية والعشرين أخذ خمسة عشر توا إلى مكان الإعدام بمجرد وصولهم. وطرح الباقون في السجن ومكثوا فيه مدة سنتين يعانون من الآلام أشقها، ومن العذاب أقساه، ورغما عن الإفراج عنهم أخيرا قضى أغلبهم نحبه أثناء الرجوع إلى مواطنهم نظرا لإنهاك قواهم من آلام السجن الطويل والأسر القاسي.

وذبح الكثيرون من أقرانهم في شيراز بأمر طهماسب ميرزا ووضعت رؤوس مايتين من هؤلاء على الأسنة وحملها الأعداء على هيئة موكب الانتصار إلى قرية آبادة في

فارس وكانوا يرومون حملها إلى طهران ولكن أحد رسل الملك أمرهم بترك هذا الأمر ومن ثم عزموا على دفن الرؤوس في تلك القرية.

أما النسوة اللائي بلغ عددهن ستماية فأفرج عن نصفهن في نيريز وأخذ النصف الآخر على ظهور الخيول كل اثنتين على جواد بغير سرج إلى شيراز وبعد أن أوسعوهن أشد أنواع العذاب تركوهن وشأنهن وهلك أغلبهن في الطريق إلى تلك المدينة وغيرهن أسلمن الروح من اشتداد العذاب الذي كن يتحملنه قبل الإفراج عنهن وإن القلم ليجمد ويضج ذعرا في محاولة وصف ما أصاب هؤلاء الأبطال وتلك النسوة في سبيل تمسكهن بالإيمان وإن تلك الوحشية الفاجرة التي اقترنت بالمظالم التي ارتكبت فيهن وصلت إلى أحط درجات الخسة والسفالة في الأدوار الختامية لتلك المأساة المأسوف عليها".

تورد الأحاديث النبوية الشريفة عدة علامات وإشارات خاصة بظهور الموعود. ففي إحداها يتنبأ الرسول الكريم بأن رؤوس بعض أتباع المهدي تتهاوى وتقدم هدايا للعدو. لقد تحققت هذه النبوءة في مذبحتين دمويتين في نيريز. ويقتبس حضرة بهاءالله في "كتاب الإيقان" الحديث الشريف:

"كما يقول في كتاب الكافي، في حديث جابر في لوح فاطمة في وصف القائم (عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب فيذل أولياؤه في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم. أولئك أوليائي حقا)".

في "سورة الصبر" يأتي حضرة بهاءالله على ذكر مقام وحيد بكلمات لا يمكن لقلم أن يصفه وصفا مناسبا. فيمجد تمجيدا باهرا قوة إيمانه وبُعد رؤياه، ويعلن حضرته أن وحيدا ثبت على ميثاق الله مخلصا له، ويؤكد وفاءه بعهد مولاه، ويدعوه إلى الفرح والابتهاج بين ملأ العالين لورود ذكره في هذا اللوح المبارك، الذي يصفه حضرته بأنه لوح على قدر من الرفعة والعلا بحيث استمدت منه جوهرها الكتب المقدسة السابقة.

وفي هذا اللوح أيضا يوجه حضرة بهاءالله كلمات التشجيع والإطراء لأحباء نيريز ويطلب منهم أن يتذكروا ما كانوا عليه من جهل وغفلة في أوائل أيامهم عندما أفاض عليهم ربهم من فيض جوده بشخص وحيد ومكنهم من معرفة مظهره وقادهم إلى بحر عرفانه. وحثهم على تقدير هذه العطية الكبرى بشكره تعالى على جعلهم محط نعمته وآلائه وأن يفرحوا ويبتهجوا على ما هم عليه من مقام لو كشف النقاب عنه لأعين البشر لسارعوا إلى الفداء بأرواحهم في سبيله. إذ الحكمة في حجبه هي لامتحان الخلق

وتمييز الطيّب من الخبيث والخير من الشر. وبمحبة عارمة يحض حضرة بهاءالله أحباء نيريز أن تظهر من أفعالهم صفات الرحمن، وأن يطهروا أرواحهم من علائق الدنيا وأن يتشبثوا بأهداب الدين ويقفوا بكل عزم وثبات أمام معارضيه.

يصور لنا تاريخ الشهداء في نيريز بطولة الأحباء وتفانيهم. فقد ظلت تلك الأرواح لأجيال لاحقة هدفا لاضطهاد مرير متكرر من أعداء قساة لا تلين لهم قناة. ومع هذا ظلوا مخلصين للعهد أوفياء له يتحملون ما نزل عليهم من محن بصبر وجلد مثاليين.

إنه لجدير بالذكر أن وحيدا وأصحابه قدموا حياتهم قربانا قبل استشهاد حضرة الباب بعشرة أيام. وفي نوروز ١٩٠٩م، أي بعد ستين عاما تقريبا، وأثناء وضع الرمس المطهر للباب في مقامه المقدس الأخير على جبل الكرمل، قدم ثمانية عشر شهيدا حياتهم في نيريز على مذبح التضحية بيد الشيخ زكريا، ذلك المعتدي الأثيم المتعطش للدماء. ويشهد حضرة عبدالبهاء بأن وضع أمانة على هذا القدر من القدسية كالرفاة الطاهرة للباب كان يستحق مثل هذا القربان من أولئك الأحباء. وأثنى ثناء حارا على أحباء نيريز على فوزهم بهذا الشرف العظيم.

وفي "سورة الصبر" يثني حضرة بهاءالله ثناء عطرا على الحاج محمد تقي ويستذكر دوره الرئيس في الهيجان الذي أصاب أهالي نيريز ودعمه ومساندته المادية لوحيد، وما أنفقه في الدفاع عن القلعة وما تحمله بالرضا والتسليم بقضاء الله ثم الفداء في سبيله. كانت مئونة الطعام وضروريات الحياة تأتي للأحباء في قلعة "خاجة" من الحاج محمد تقي، ولولا ذلك ما استطاع البابيون الصمود في القلعة أمام الجيش. وهو من الذين بقوا أحياء بعد حصار القلعة، ولقناعة حاكم نيريز بأن الحاج محمد تقي كان وراء انتشار أمر حضرة الباب في تلك البلدة بشكل رئيس، لجأ إلى مصادرة ممتلكاته كافة ثم حبسه، وكان ينوي تعذيبه حتى الموت مع آخرين من بينهم السيد جعفر، أحد علماء الدين المتفقهين في يزد والذي ذكر آنفا.

إن سرد معاناة الحاج محمد تقي في السجن وإطلاق سراحه فيما بعد ثم رحلته إلى بغداد التي توجت بمحضر حضرة بهاءالله، قد وردت في صفحات سابقة. وإشارة إلى روح التسليم والرضا والصبر والتحمل التي بدت على الحاج أثناء مذبحة نيريز، فإن حضرة بهاءالله يوضح أن الله يكون دوما في عون من ينفقون أرواحهم وممتلكاتهم ليدفعوا عجلة الأمر المبارك إلى الأمام، ومع الذين يواجهون الافتتان والامتحان بالصبر الجميل. ويضيف حضرته أن هذه النفوس ما شكت أو ضجرت من هول المصائب والبلايا بل اشتاقت الرزايا في سبيل مولاها.

كثيرة هي الأسرار التي أودعها الله في خلقه، وإحداها سر المعاناة. فالمرء يعاني في حياته كثيرا وغالبا ما يعجز عن فهم مغزاها. ومع أن الإدراك الكامل لمغزى المعاناة لا يمكن تحقيقه في هذا العالم إلا أنه يمكن ملاحظة التأثيرات الناجمة عنها على حياة الفرد.

تتأثر معظم عناصر الطبيعة بمؤثرات خارجية. فمثلا إذا تركنا قطعة من الحديد مهملة تصبح باردة يعلوها الصدأ. ومع هذا فإنها تصدر حرارة بمجرد الاحتكاك، ويصبح سطحها لامعا، وبازدياد الاحتكاك يغدو الجسم متوهجا منيرا. فهذه الصفات الكامنة في الحديد لا تظهر إلا بالضغط الخارجي.

وبالمثل، فإن كثيرا من المواهب والفضائل التي تبقى مخزونة داخل الإنسان تعمل الآلام والمعاناة في أغلب الأحيان على إطلاقها وتحرير الطاقات الكامنة ودفع هذه الصفات النبيلة إلى السطح. ويحدثنا التاريخ أن العديد من العظماء صنعوا مجدهم بمواجهة الشدائد والمشقات ليس إلا. فبمثابرتهم واستقامتهم وثباتهم تغلبوا وتمسكوا بالخلق القويم وكشفوا عما فيهم من قدرات. وعلى النقيض، فغالبا ما يستسلم الضعفاء الواهنون أمام الصعوبات وتذهب ريحهم. فالآلام والمعاناة تظهر بكل وضوح قوة الكائن البشري وخلقه وإيمانه. كلما كان الأمر عظيما كلما ازدادت شدة الامتحانات والافتتانات أمام المؤمن. وفي هذا الظهور الأعظم، ووسط حمامات

دماء الشهداء، أبرز التاريخ أبطالا عظاما أضاءوا صفحاته بشجاعتهم البالغة وفدائهم الفذ.

وفي "سورة الصبر" يروي حضرة بهاءالله بالتفصيل قصة أيوب -أحد أنبياء بني إسرائيل- ويذكر أن الله قد أنعم عليه بالنبوة، وكان غنيا يملك أراض شاسعة ويعيش مع زوجته وعائلته في رفاهية وراحة تامة. وعندما أتاه أمر ربه بهداية الناس إلى طريق الحق والصلاح، كرس حياته لهذه الرسالة بين أهله وعشيرته ودعاهم إلى دين الله. ولكن نار الغيرة دبت في عروقهم فاتهموه بالنفاق وقالوا بأن هذا التكريس للحق عائد فقط لثرائه وممتلكاته المادية.

ولإظهار مصداقية أيوب للعباد، أحاط الله عبده أيوبا بالمحن والبلايا، وفي كل يوم تنزل به مصيبة جديدة. ففقد أولاده في البداية ثم ممتلكاته واحترقت محاصيله وابتلي جسمه بالعلل وغطته القروح والدمامل. ومع هذا بقي شاكرا صابرا راضيا منقطعا. ولم تقف محنته عند هذا الحد، فقد أجبر على الخروج من بلدته دون سند أو عون إلا من زوجته التي آمنت به وبذلت جهدها في تخفيف آلامه. وفي النهاية أصبح خالي الوفاض من كل شيء وحرم من الطعام لعدة أيام.

يؤكد حضرة بهاءالله أن أيوبا ظل على هذه الحال صابرا مستسلما لإرادة مولاه حتى أنه ازداد شكرا وعشقا له بتفاقم الامتحانات. وأخيرا، وقد أثبت تجرده من ممتلكات الدنيا، أنعم الله عليه بكل ما فقد منه وانتشرت تعاليمه وتغلغلت كلماته في قلوب المريدين الذين أدركوا مقامه وأقروا به.

بهذه القصة في "سورة الصبر" يلقي حضرة بهاءالله الضوء على موهبة الصبر، إحدى أفضل نعم الله على الإنسان، ويمجد مقام أولئك الذين تحملوا الشدائد بصبر ورضاء. وبفضل ثباتهم وولائهم ثم صبرهم وجلدهم نالوا منزلة على قدر من الرفعة بحيث ينشد أهل الملأ الأعلى صحبتهم ويتوقون شوقا لبركاتهم.

يحث حضرة بهاءالله أهل البيان على التمثل بالصابرين وينصحهم أن يزينوا هياكلهم برداء الرضا والتسليم بقضائه وأن يستقيموا على أمر الله فلا يفزعوا في المحن والبلايا ويذكرهم بثواب الله لكل عمل صالح بما يستحق أما بالنسبة للصبر فيذكرهم بأن ثوابه غير محدود كما يشهد بذلك القرآن الكريم.

هذه الفضائل وهبها الله لرسله في ميثاقه معهم، وعلى العبد أن يحذو حذوهم. ففي الأولى صبر في النفس وكبح جماح النفس والهوى وما حرم عليها، وفي الثانية

تحمل ملمات الحياة والاستقامة على أمره. وأخيرا عليه بالصبر والتسامح وتحمل أي أذى يُلحقه الأحباء به إكراما لربه ودينه.

أنزل هذا اللوح قبيل مغادرة حضرة بهاءالله العراق، وكم أثّر على الأحباء في ذلك القطر. فهو يعدهم لأيام الامتحان التي أنذر بها مرارا، ويملأ قلوبهم إيمانا وشجاعة في مواجهة ألم الفراق عن مولاهم بالتسليم والثبات.

وفي إشارته لمغادرة العراق، لمح حضرة بهاءالله إلى عصيان ميرزا يحيى في المستقبل محذرا بأن "طيور الليل" ستحلق في الفضاء بعد غروب الشمس، أي أنه في غيابه ستنفث النفوس الشريرة سمومها بين المؤمنين، وعلى الأتباع آنذاك أن يتصدوا لحماية أمر الله من الفرقة والشقاق وأن يثبتوا ويصمدوا كالجبال الرواسخ.

ويعارض حضرة بهاءالله في هذا اللوح ما ابتدعه الإنسان من مبدأ ختم الرسالات السماوية، ويفسر معنى "ختم النبوة" مؤيدا مبدأ استمرار الفيض الإلهي، وإن الله سوف يرسل رسله حتى الآخر الذي لا آخر له. وفوق هذا كله يدين علماء الإسلام وفقهاءهم على عجز بصيرتهم وإنهم لم يتناولوا المعرفة الحقيقية ولم يكتشفوا أسرار الأمر الإلهي وكانوا هائمين في بيداء النفس والهوى. ويلومهم على إعراضهم عن

رسالة حضرة الباب وعلى قتلهم إياه، فيمجد مقامه ويشهد بأنه قد أظهر جمال الله المعبود، ويقرر بأنه لن يمضي طويل وقت حتى يدرك مقامه عموم البشر.

وفي فقرة أخرى مشابهة حول الغلبة للأمر الإلهي في المستقبل، يوبخ الذين أنكروا الدين وقاموا عليه محذرا إياهم بأن جهودهم في اقتلاع شجرة أمر الله ستذهب أدراج الرياح، ويتنبأ ثانية بيوم فيه يؤمن بدينه الناس جميعا.

هناك بيان في أحد ألواح حضرة بهاءالله يؤكد بأن الله تعالى أخذ عهدا بمساعدة من يقوم على خدمته. إنه أمر يفوق تصور البشر أن يأخذ الله مثل هذا العهد على نفسه. ووجه آخر لهذا العهد نجده في هذا اللوح، إذ أن حضرة بهاءالله، يؤكد أن الله تعالى قد أخذ على نفسه عهدا أن يجمع البشر تحت ظل شجرة أمره، وأن هذا قضاء مبرم لا رجعة فيه.

يمكن وصف "سورة الصبر"، مثل العديد من ألواح حضرة بهاءالله، بالبحر الزاخر بالجواهر الرائعة معرفة وحكمة، فقد نزلت في مناسبة تجللت بالرهبة والإجلال، بكشف منزلها من مقامه لأصحابه في وقت تحققت فيه آمال ووعود ورؤى عدد لا يحصى من الرسل على مدى العصور والأزمان، وانقلبت أحزان الأحباء وهمومهم إلى فرحة عارمة وسعادة غامرة. وعليه فإن هذه السورة تقف شاهدا أبديا ليوم الأيام ذاك.

تشير بضع فقرات من هذا اللوح المبارك إلى إعلان دعوة حضرة بهاءالله وتزيل خيوط الحجبات عن مجد مقامه في حديقة الرضوان. وفي إحداها يطالب نفسه أن يمزق الحجبات التي حالت بين عيون الناس وجماله الأبهى، وينشر نفحات الروح التي كانت مخزونة منذ البدء ويظهر بهاءه بالقدرة الغالبة. وفي فقرة أخرى يشير إلى ما عاناه من محن وآلام ويلقب نفسه بـ"مظهر الله نفسه" ويمجد اليوم والساعة واللحظة التي أعلنت فيها دعوته، ويوجه خطابه في تلك اللحظة بالذات إلى كافة الخلق في بغداد حتى يحصل كل على نصيبه المقدر له من بهاء الرب ويؤكد أنه في ذلك اليوم ستتنور كل الأشياء بسطوع شمس الحقيقة من أفق العراق.

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ١"